باب ما ورد في خلق آدم عليه السلام .

قال الله تعالى : { وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون * وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العلم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون * وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين * وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو لوكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم * قلنا اهبطوا منهم جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } .

وقال تعالى : { إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون } وقال تعالى : { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا } .

كما قال : { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير } .

وقال تعالى : { هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها } .

وقال تعالى : { ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألا تسجد إذا أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين * قال أنظرني إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * قال إخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين * ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين *

فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون } .

كما قال في الآية الأخرى : { منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى } وقال تعالى : { ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم * وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين * قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين * قال رب فأنظرني إلي يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط مستقيم * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين * وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم } .

وقال تعالى : { وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا * قال أرأيتك هذا الذي كرمته علي لئن اخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا * قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا * واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا } وقال تعالى : { وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا } وقال تعالى : { ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما * وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى * فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى * فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى * قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك

آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى } وقال تعالى : { قل هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون * ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون * إن يوحي إلي إلا إنما أنا نذير مبين * إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي * استكبرت أم كنت من العالين * قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين * قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين * قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين * إن هو إلا ذكر للعالمين * ولتعلمن نبأه بعد حين } .

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير ولنذكر هاهنا مضمون ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الأحاديث الواردة في ذلك عن رسول ا A وا المستعان .

فأخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم : { إني جاعل في الأرض خليفة } أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال : { وهو الذي جعلكم خلائف الأرض } وقال تعالى : { ويجعلكم خلفاء الأرض } فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه فقالت الملائكة سائلين على وجه الإستكشاف والإستعلام عن وجه الحكمة لا على وجه الإعتراض والتنقص لبني آدم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض جهلة المفسرين قالوا : { أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء } .

وقيل علموا أن ذلك كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الجن والبن قاله قتادة .

وقال عبد ا بن عمر : كانت الجن قبل آدم بألفي عام فسفكوا الدماء فبعث ا إليهم جندا من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحور .

وعن ابن عباس نحوه وعن الحسن ألهموا ذلك .

وقيل : لما أطلعوا عليه من اللوح المحفوظ فقيل أطلعهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يقال له السجل رواه ابن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر .

وقيل : لأنهم علموا أن الأرض لا يخلق منها إلا من يكون بهذه المثابة غالبا .

{ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك } أي نعبدك دائما لا يعصيك منا أحد فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدوك فها نحن أولاء لا نفتر ليلا ولا نهارا .

{ قال إني أعلم ما لا تعلمون } أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق خلق هؤلاء ما لا تعلمون أي سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء الصالحون .

ثم بين لهم شرف آدم عليهم في العلم فقال : { وعلم آدم الأسماء كلها } قال ابن عباس : هي هذه الأسماء لا يتعارف بها الناس : إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

وقال مجاهد : علمه اسم الصحفة والقدر حتي الفسوة والفسية .

وقال مجاهد : علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وغير واحد .

وقال الربيع : علمه أسماء الملائكة وقال عبد الرحمن بن زيد : علمه أسماء ذريته .

والصحيح : أنه علمه أسماء الذوات وأفعالها مكبرها ومصغرها كما أشار إليه ابن عباس Bهما .

وذكر البخاري هنا ما رواه هو و مسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة عن أنس بن مالك عن رسول ا A قال : [يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك ا بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء] وذكر تمام الحديث .

{ ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين } قال الحسن البصري : لما أراد ا خلق آدم قالت الملائكة : لا يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه فابتلوا بهذا وذلك قوله : { إن كنتم صادقين } .

وقيل غير ذلك كما بسطناه في التفسير .

قالوا : { سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم } أي سبحانك أن يحيط أحد بشيء من علمك من غير تعليمك كما قال : { ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء } .

{ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون } أي أعلم السر كما أعلم العلانية .

وقيل : إن المراد بقوله : { اعلم ما تبدون } ما قالوا : { أتجعل فيها من يفسد فيها } وبقوله : { وما كنتم تكتمون } المراد بهذا الكلام إبليس حين أسر الكبر والنفاسة على آدم عليه السلام قاله سعيد بن جبير ومجاهد والسدي والضحاك والثوري واختاره ابن جرير .

وقال أبو العالية والربيع والحسن وقتادة : { وما كنتم تكتمون } قولهم : لن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه .

وقوله : { وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر } هذا إكرام عظيم من ا تعالى لآدم حين خلقه بيده ونفخ فيه من روحه كما قال : { فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين } فهذه أربع تشريفات : خلقه بيده الكريمة ونفخه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له وتعلميه أسماء الأشياء .

ولهذا قال له موسى حين اجتمع هو وإياه في الملأ الأعلى وتناظرا كما سيأتي : [أنت آدم أبو البشر الذي خلقك ا بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء] وهكذا يقول له أهل المحشر يوم القيامة كما تقدم وكما سيأتي إن شاء ا تعالى .

وقال في الآية الأخرى : { لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين } .

قال الحسن البصري : قال إبليس وهو أول من قاس وقال محمد بن سيرين : أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس ولا القمر إلا بالمقاييس رواهما ابن جرير .

ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود له مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود والقياس إذا كان مقابلا بالنص كان فاسد الإعتبار ثم هو فاسد في نفسه فإن الطين أنفع وخير من النار لأن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق .

ثم إن آدم شرفه ا بخلقه له بيده ونفخه فيه من روحه ولهذا أمر الملائكة بالسجود له كما قال : { وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين * قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين } استحق هذا من ا تعالى لأنه استلزم تنقصه لآدم وازدارءه به وترفعه عليه مخالفة الأمر الإلهي ومعاندة الحق في النص على آدم على التعيين .

وشرع في الإعتذار بما لا يجدي عنه شيئا وكان اعتذاره أشد من ذنبه كما قال تعالى في سورة سبحان : { وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا * قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا * قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا * واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان * وكفى بربك وكيلا } .

وقال في سورة الكهف : { وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إبلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني } أي خرج عن طاعة ا عمدا وعنادا وإستكبارا عن امتثال أمره وما ذاك إلا لأنه خانه طبعه ومادته الخبيثة أحوج ما كان إليه فإن مخلوق من نار كما قال وكما جاء في صحيح مسلم عن عائشة عن رسول ا A قال : [خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم] .

قال الحسن البصري : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط وقال شهر بن حوشب : كان من الجن فلما أفسدوا في الأرض بعث ا إليه جندا من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار وكان إبليس ممن أسر فأخذوه معهم إلى السماء فكان هناك فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه .

قال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرون : كان إبليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا قال ابن عباس : وكان اسمه عزازيل وفي رواية عنه : الحارث قال النقاش : وكنيته أبو كردوس قال ابن عباس : وكان من حي من الملائكة يقال لهم الجن وكانوا خزان الجنان وكان من أشرفهم ومن أكثرهم علما وعبادة وكان من أولى الأجنحة الأربعة فمسخه ا شيطانا رجيما .

وقال في سورة ص : { إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أستكبر وكان من الكافرين * قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين * قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين * قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول * لأملان جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين } .

وقال في سورة الأعراف : { قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين } أي بسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم كل مرصد ولآتينهم من كل جهة منهم فالسعيد من خالفه والشقي من اتبعه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل - هو عبد ا بن عقيل الثقفي - حدثنا موسى بن المسيب وعن سالم بن أبي الجعد عن سبرة بن أبي الفاكه قال : سمعت رسول ا A قال : [إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه] وذكر الحديث .

* * * .

وقد اختلف المفسرون في الملائكة المأمورين بالسجود لآدم .

أهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات ؟ وهو قول الجمهور .

أو المراد بهم ملائكة الأرض كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس ؟ وفيه انقطاع وفي السياق نكارة وإن كان بعض المتأخرين قد رجحه .

ولكن الأظهر من السياقات الأولى ويدل عليه الحديث : [وأسجد له ملائكته] وهذا عموم أيضا وا أعلم .

وقوله تعالى لإبليس : { اهبط منها } و { اخرج منها } دليل على أنه كان في السماء فأمر

بالهبوط منها والخروج من المنزلة والمكانة التي كان قد نالها بعبادته وتشبهه بالملائكة في الطاعة والعبادة ثم سلب ذلك بكبره وحسده ومخالفته لربه فأهبط إلى الأرض مذءوما مدحورا .

* * * .

وأمر ا آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة فقال : { وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين } .

وقال في الأعراف : { قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملان جهنم منكم أجمعين * ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين } .

وقال تعالى : { وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى * فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى } .

وسياق هذه الآيات يقتضي أن خلق حواء كان قبل دخول آدم إلى الجنة لقوله : { ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة } وهذا قد صرح به إسحاق بن يسار وهو ظاهر هذه الآيات .

ولكن حكى السدي عن أبي صالح وأبي مالك وعن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا : أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشي ليس له فيها زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها ا من ضلعه فسألها : ما أنت ؟ قالت : امرأة قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إلي فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء قالوا : ولم كانت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حي .

وذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس : أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولأم مكانه لحما .

ومصداق هذا في قوله تعالى : { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء } الآية وفي قوله تعالى : { هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به } الآية وسنتكلم عليها فيما بعد إن شاء ا تعالى .

وفي الصحيحين من حديث زائدة عن ميسرة الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي A أنه قال : [استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهب تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا] هذا لفظ البخاري .

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى : { ولا تقربا هذه الشجرة } فقيل : هي الكرم وروى عن

ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وجعدة بن هبيرة ومحمد بن قيس والسدي في رواية عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة قال : وتزعم يهود أنها الحنطة وهذا مروى عن ابن عباس والحسن والبصري ووهب بن منبه وعيطة العوفي وأبي مالك ومحارب بن دثار وعبدالرحمن بن أبي ليلى .

وقال وهب : والحبة منه ألين من الزبد وأحلى من العسل .

وقال الثوري عن أبي حصين عن أبي مالك : { ولا تقربا هذه الشجرة } هي النخلة وقال ابن جريج عن مجاهد : هي التينة وبه قال قتادة وابن جريج وقال أبو العالية : كانت شجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغي في الجنة حدث .

وهذا الخلاف قريب وقد أبهم ا ذكرها وتعيينها ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا كما في غيرها من المحال التي تبهم في القرآن .

وإنما الخلاف الذي ذكروه في أن هذه الجنة التي أدخلها آدم : هل هي في السماء أو في الأرض هو الخلاف الذي ينبغي فصله والخروج منه .

والجمهور على أنها هي التي في السماء وهي جنة المأوى لظاهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى : { وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة } والألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظي وإنما تعود على معهد ذهني وهو مستقر شرعا من جنة المأوي وكقوله موسى عليه السلام لآدم عليه السلام : [علام أخرجتنا ونفسك من الجنة] ؟ الحديث كما سيأتي الكلام عليه .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشجعي - اسمه سعد بن طارق - عن أبي حازم سلمة بن دينار عن أبي هريرة وأبو مالك عن ربعي عن حذيفة قالا : قال رسول ا A : [يجمع ا الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم] ؟ وذكر الحديث بطوله .

هذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى وليس تخلو عن نظر .

وقال آخرون : بل الجنة التي أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد لأنه كلف فيها ألا يأكل من تلك الشجرة ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه إبليس فيها وهذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى .

وهذا القول محكي عن أبي بن كعب وعبد ا بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة واختاره ابن قتيبة في (المعارف) والقاضي بن منذر بن سعيد البلوطي في تفسيره وأفرد له مصنفا على حدة وحكاه عن أبي حنيفة الإمام وأصحابه رحمهم ا ونقله أبو عبد ا محمد ابن عمر الرازي بن خطيب الري في تفسيره عن أبي القاسم البلخي وأبي مسلم الأصبهاني ونقله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والقدرية .

وهذا القول هو نص التوراة التي بأيدي أهل الكتاب وممن حكى الخلاف في هذه المسألة أبو

محمد بن حزم في (الملل والنحل) وأبو محمد بن عطية في تفسيره وأبو عيسى في الرماني في تفسيره وحكى عن الجمهور الأول وأبو القاسم الراغب والقاضي الماوردي في تفسيره فقال : واختلف في الجنة التي أسكناها - يعني آدم وحواء - على قولين : أحدهما : أنها جنة الجلد والثاني : أنها جنة أعدها الله لهما وجعلها دار إبتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء .

ومن قال بهذا اختلفوا على قولين : أحدهما : أنها في السماء لأنه أهبطهما منها وهذا قول الحسن والثاني أنها في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار وهذا قول ابن يحيى وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم والله أعلم بالصواب من ذلك .

هذا كلامه فقد تضمن كلامه حكاية أقوال ثلاثة وأشعر كلامه أنه متوقف في المسألة ولهذا حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره في هذه المسألة أربعة أقوال : هذه الثلاثة التي أوردها الماروردي ورابعها : الوقف وحكى القول بأنها في السماء وليست جنة المأوي عن أبي علي الجبائي .

وقد أورد أصحاب القول الثاني سؤالا يحتاج مثله إلى جواب فقالوا : لا شك أن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الإلهية وأمره بالخروج عنها والهبوط منها وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته وإنما هو أمر قدري لا يخالف ولا يمانع ولهذا قال : { اخرج منها مذموما مدحورا } وقال : { اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها } وقال { اخرج منها فإنك رجيم } والضمير عائد إلى الجنة أو السماء أو المنزلة وأيا ما كان فمعلوم أنه ليس له الكون قدرا في المكان الذي طرد منه وأبعد منه لا على سبيل الإستقرار ولا على سبيل المرور والإجتياز .

قالوا : ومعلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له : { هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى } وبقوله : { ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور } الآية .

وهذا ظاهر في اجتماعه معهما في جنتهما .

وقد اجيبوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الإستقرار بها وأنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء .

وفي الثلاثة نظر والله أعلم .

ومما احتج به أصحاب هذه المقالة : ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد في الزيادات عن هدبة ابن خالد عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصري عين يحيى بن ضمرة السعدي عن أبي بن كعب قال : إن آدم لما احتضر اشتهى قطفا من عنب الجنة فانطلق بنوه ليطلبوه له فلقيتهم

الملائكة فقالوا : أين تريدون يا بني آدم ؟ فقالوا : إن أبانا اشتهى قطفا من عنب الجنة فقالوا لهم : ارجعوا فقد كفيتموه فانتهوا إليه فقبضت روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل ومن خلفه الملائكة ودفنوه وقالوا : هذه سنتكم في موتاكم .

وسيأتي الحديث بسنده وتمام لفظه عند ذكر وفاء آدم عليه السلام .

قالوا : فلولا أنه كان الوصول إلى الجنة التي كان فيها آدم التي اشتهى منها القطف ممكنا لما ذهبوا يطلبون ذلك فدل على أنها في الأرض لا في السماء وا تعالى أعلم .

قالوا : والإحتجاج بأن الألف واللام في قوله : { ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة } لم يتقدم عهد يعود عليه فهو المعهود الذهني مسلم ولكن هو ما دل عليه سياق الكلام فإن آدم خلق من الأرض ولم ينقل أنه رفع إلى السماء وخلق ليكون في الأرض وبهذا أعلم الرب الملائكة حيث قال : { إني جاعل في الأرض خليفة } .

قالوا : وهذا كقوله تعالى : { إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة } فالألف واللام ليس للعموم ولم يتقدم معهود لفظي وإنما هو للمعهود الذهني الذي دل عليه السياق وهو البستان .

قالوا : وذكر الهبوط لا يدل على النزول من السماء قال ا تعالى : { قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك } وإنما كان في السفينة حتى استقرت على الجودي ونضب الماء على وجه الأرض أمر أن يهبط إليه هو ومن معه مباركا عليه وعليهم .

وقال ا تعالى : { اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم } الآية وقال تعالى : { وإن منها لما يهبط من خشية ا } الآية وفي الأحاديث واللغة من هذا كثير .

قالوا : ولا مانع - بل هو الواقع - أن الجنة التي أسكنها آدم كانت مرتفعة عن سائر بقاع الأرض ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال تعالى : { إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى } أي لا يذل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعري { وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحي } أي لا يمس باطنك حر الظمأ ولا ظاهرك حر الشمس ولهذا قرن هذا وهذا وبين هذا وهذا لما بينهما من الملاءمة .

فلما كان منه ما كان من أكله من الشجر التي نهي عنها أهبط إلى أرض الشقاء والتعب والنصب والكدر والسعي والنكد والإبتلاء والإختبار والإمتحان واختلاف السكان دينا وأخلاقا وأعمالا وقصودا وإرادات وأقولا وأفعالا كما قال تعالى : { ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين } .

ولا يلزم من هذا أنهم كانوا في السماء كما قال : { وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا } ومعلوم أنهم كانوا فيها ولم يكونوا في السماء .

قالوا : وليس هذا القول مفرعا على قول من ينكر وجود الجنة والنار اليوم ولا تلازم بينهما فكل من حكى عنه هذا القول من السلف وأكثر الخلف ممن يثبت وجود الجنة والنار اليوم كما دلت عليه الآيات والأحاديث الصحاح وا سبحانه وتعالى أعلم بالصواب